النقد الموضوعاتي
دراسة في المصطلح والمفهوم

Thematic criticism
A study in the term and concept

باحثة دكتوراه: أميرة الغامدي

جامعة الملك عبد العزيز– جدة (المملكة العربية السعودية)

a.h.alghamdy@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/06/27 **تاريخ القبول: 2025/06/29**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أوجه التباين والاختلاف في المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالموضوعاتية بين السياقين العربي والغربي، فضلًا عن تتبّع هذا المفهوم في حقل النقد الأدبي بوصفه أحد المناهج النقدية المعاصرة التي نشأت وتطوّرت في سياق ما بعد الحداثة.

تناولت الدراسة جذور المصطلح لغويًا واصطلاحيًا في السياقات الغربية، واستعرضت كيفية تلقيه في النقد العربي من حيث الترجمة، والمفاهيم، والتأصيل، مع رصد الإشكاليات التي أفرزها تعدد المقابلات العربية للمصطلحين الأساسيين: "الموضوع" و "الموضوعاتية". كما تتبعت الدراسة أبرز الإسهامات النقدية الغربية والعربية في تعريف المنهج، محددة تقاطعه مع مناهج أخرى كالبنيوية، والظاهراتية، والتحليل النفسي. كما أكدت الدراسة على أهمية التمييز بين "الموضوع" و"الموضوعاتية"، وعلى ضرورة توحيد المصطلح عربيًا لتيسير التلقي النقدي. وقد خلصت الدراسة إلى أن هذا المنهج لا يزال في طور التبلور المفاهيمي، وأن تنوع تعريفاته يعكس مرونة في التطبيق أكثر مما يعكس اضطرابًا نظريًا.

الكلمات المفتاحية: الموضوع، الموضوعاتية، النقد الموضوعاتي، ما بعد الحداثة، البنيوية، الظاهراتية، التحليل النفسي.

Abstract:

This study aims to identify the differences and differences in concepts and terminology related to themes between the Arab and Western contexts, as well as tracing this concept in the field of literary criticism as one of the contemporary critical approaches that arose and developed in the postmodern context. The study dealt with the roots of the term linguistically and idiomatically in Western contexts, and reviewed how it is received in Arabic criticism in terms of translation, concepts, and rooting, while monitoring the problems that emerged from the multiplicity of Arabic interviews for the two main terms: "subject" and "thematic". The study also traced the most prominent Western and Arab critical contributions to the definition of the curriculum, identifying its intersection with other approaches such as structuralism, phenomenology, and psychoanalysis. The study also stressed the importance of distinguishing between "subject" and "subjectivity", and the need to standardize the term Arabic to facilitate critical reception. The study concluded that this approach is still in the conceptual process and that the diversity of its definitions reflects flexibility in application rather than theoretical turmoil.

***keywords**:* Subjectivity, Thematic Criticism, Postmodernism, Structuralism, Phenomenology, Psychoanalysis.

يُعدُّ المنهج الموضوعاتيّ أحدَ المناهجِ النقديّة المعاصِرة، التي برزتْ في نقد ما بعد الحداثة فنشأ وتطورَ على أيدي مجموعةٍ من النقادِ الفرنسيّن إبَّان ستينيّات القرن العشرين، واستمدَ أُسسه وإجراءاتِه من أصولٍ فلسفيّة عِدة. وقد تعددت مفاهيم هذا المنهج بتعدُّدِ روادِه ومجالاتِ دراساتهم، ومرجعياتِهم الفلسفيّة والثقافيّة، لِذا هَدفتْ هذه الدراسة إلى تتبُّعِ الدلالاتِ اللغويّة والاصطلاحيّة لمصطلح (الموضوعاتيّة/ Le Thématique)، وتقصّي مفاهيمِه في أصولها الغربيّة، وتلقّي النقد العربيّ له ترجمةً وتعريفًا.

* مصطلح (الموضوع) في المعاجم اللغوية والأدبية الغربية:

يُشتقُّ مصطلح(الموضوعاتيّة/LeThématique)؛من الجذرِ اللغويّ(الموضوع/Le Théme) الذي يُعدُّ بِدورِه أحدَ أهمِّ المفاهيم في النقد الموضوعاتيّ، التي لاقت عنايةً بالغةً من قبلِ النّقادِ والدارسين، توضيحًا لأسبابِ الاشتقاقِ عنه، وتحديدًا لحركتِه وتطوّرِه في مجالاتِ المعرفةِ المختلِفة، وتحديدًا لإطارِه المفاهيميّ بوصفهِ عُنصرًا رئيسًا من عناصرِ القراءةِ الموضوعاتيّة.

يذهب قاموس (لوروبير) إلى أن مصطلح (موضوع/ Théme)، ينحدر في اللاتينية من (Théma) التي تنحدر بدورها من اليونانية، وهي مشتقة من الفعل (وضع): تيتيني tithènai والتي تدل على الشيء الذي نضعه[1]، وأضاف قاموس (روبير الصغير) إلى معانيه "ما هو مقترح، فكرة، اقتراح نقوم بتطويره في خطاب، في مؤلف تعليمي أو أدبي. موضوع خطاب لكل كاتب موضوعاته الخاصة. الفكرة، المعنى الذي يكوّن موضوع حديث شخص ما، أو مركز انشغالاته، إنه ذلك الذي تنصب عليه الممارسة الفكرية أو العلمية"[2]. وهي معانٍ عامة تقدِّمها المعاجمُ الفرنسيّة لكلمة (الموضوع/ Le Théme)، وما يعنينا هُنا هي المفاهيمُ التي اكتسبَها المُصطلح في نِطاقِ النقدِ الموضوعاتيّ، حيث قدّمه (دومينيك منغينو) في (مصطلحات تحليلِ الخِطاب) بوصفِه بنية دلاليّة كبرى للنص، وحددّ مفهومه في ضوء النقد الموضوعاتيّ بأنه "شبكة من الدلالات، أو عنصر دلالي متكرر لدى كاتب ما في عمل"[3]. وعند (دانييل برجيز Daniel Bergez) فإن "الموضوع هو – في النص– النقطة التي يتبلور عندها الحدس بالوجود الذي يتجاوز النص وفي ذات الوقت لا يوجد مستقلًا عن الفعل المؤدي إلى إظهاره"[4]. ويقدم كل من (ج. ب. براون، و ج. يول) تعريفًا مقاربًا في كتابهما (تحليل الخطاب): فيعرفان الموضوع بأنه: "طريقة يستسيغها حدسنا اللغوي، وتمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثا (عن) شيء ما ومن المقطع الموالي حديثا (عن) شيء آخر ومع ذلك، فالقاعدة المتبعة في تحديد (الموضوع) قلما تأتي صريحة بل الواقع أن كلمة (موضوع) هي أكثر المصطلحات استعمالًا في مجال تحليل الخطاب وأقلها وضوحًا"[5]. وفي هذين التعريفين إشارة إلى صعوبة تحديد الموضوع في النص الأدبي، كونه نصًا جماليًا تتحرر اللغة فيه من معانيها المعجميّة الثابتة، وتكتسبُ دِلالات مُختلِفة من النص الذي تساهم في بنائه[6].

أما (ميشيل كولو Michel Collot) فيذهب في تعريفه للموضوع إلى أنه: "مدلول فردي خفي ومادي؛ ويعبر عن العلاقة الانفعالية لكائن مع العالم الحساس، يظهر ضمن النصوص من خلال تكرار متجانس للتبدلات، ويشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء الاقتصاد الدلالي والشكلي لعمل ما"[7]. وهو تعريفٌ للموضوع في النص الأدبي، وربما كان من أهم التعريفات الرافدة للمنهج الموضوعاتيّ.

ويقدّمُ (جان بيير ريشار Jean Pierre Richard) بدوره تعريفين للموضوع أولهما: أن "الموضوع – في العمل الأدبي – هو إحدى وحداته الدلالية: أي أحد أصناف التواجد المعروفة بفعاليتها المتميزة داخله"[8]، وهو التعريف الذي أُخِذَت عليه عموميته، ذلك أنه يُغفِل أحد أهم المفاهيم المرتبِطة بالموضوع وهي الاطراديّة[9]. وفي الثاني يُقدّمُ الموضوع بوصفه "وحدة من وحدات المعنى؛ وحدة حسية أو علائقية أو زمنية، مشهود لها بخصوصيتها عند كاتب ما. كما أنها مشهودٌ لها بأنها تسمح – انطلاقًا منها وبنوعٍ من التوسع الشبكي أو الخيطي أو المنطقي أو الجدلي – ببسط العالم الخاص لهذا الكاتب"[10]. ونؤكد بدورنا الرأي الذي ينفي التعارض فيما قدّمه (ريشار) من تعريفات، إذ يُركِّز في تعريفه الأول على الموضوع في ذاته، في حين يركز في الثاني على الموضوع في علاقته بالمعنى[11]، وفي كلّ الأحوال فإن (ريشار) يذهب إلى أنه: "لا شيء يبدو أكثر انفلاتا والتباسا من مفهوم الموضوع"[12] يبقى أن نشير بعد هذا العرض السريع لأبرز التعريفات التي تناولت الموضوع لغة واصطلاحًا، في المعاجم العربية والغربية أننا نتفق مع ميشيل كولو الذي أكد أن مفهوم (الموضوع) يكتسبُ دلالةً خاصةً في نطاق النقد الموضوعاتي، بحيث يجعل منه مفهومًا مُضمرًا وفريدًا في تشكّلِه وحركته داخل النص بخلاف المعنى العام الذي تُقدِّمُه المعاجمُ اللغويّة بوصفهِ مَرجعًا جَماعيًا مُستقلًا وواضِحًا[13].

*** جهود النقاد والباحثين الغربيين في التعريف بمصطلح الموضوعاتية:**

رُصِدَ أول استعمال لمصطلح (الموضوعاتيّة/Le Thématique)؛ لدى (ج. ب. ويبر Jean Paul Weber)، حين استخدمه للإشارة إلى الصورة الملِحّة والمتفرِّدة والمتواجِدة في عمل كاتب ما[14]. وبالرجوع إلى المعاجم الغربيّة فإن معجم (لاروس الصغير) يُعرِّف الموضوعاتيّة بأنها: "صفة للموضوع، وتعني ما ينتظم حول الموضوع. النقد الموضوعاتي، هو طريقة للقراءة النقدية، يرمي عن طريق دراسة الثوابت الموضوعاتية ومحاورة بعض الجزئيات، إلى التعرف على انسجام العالم الخيالي الفني، وعلى الانشغال العميق للكاتب"[15]. ويذهب قاموس (روبير) إلى أن: "الموضوعاتية؛ في الأدب؛ تعني النقد الموضوعاتي الذي يرتبط بحضور موضوعات ثابتة في العمل الأدبي، وهي منحدرة من تجارب الطفولة"[16]. وفي (قاموس أكسفورد الإنجليزي): "الموضوعاتية متعلقة بالموضوع أو موضوعات شيء ما. البنية الموضوعاتية لنص ما، موضوعاتيًا:

جمعت الكتب موضوعاتيا (على حسب موضوعاتها)"[17]. بخلاف ذلك يُقدِّم (معجم آداب اللغة الفرنسية) تعريفًا مفصلًا للموضوعاتية جاء فيه: "ما بين الدراسات التقليدية (...) والتيارات الشكلانية أو البنيوية (...) بين هذين الاتجاهين يقف النقد الموضوعاتي ليفتح طريقا ثالثا يدرس فيه: الصور، الأفكار، والعلاقات الشكلية والدلالية في الآن نفسه، التي تتكرر في نص ما، أو مجموعة من النصوص، والتي يعتقد أنها أساسية لفهم تلك النصوص أو شرحها. ولهذا السبب سميت (موضوعات). ويكون الموضوع في هذا النقد كالخلية الأصلية أو المصدر الأول الذي تتوالد منه خطوط وملامح متعددة ومتنوعة، تبدو متباينة ومتباعدة عن بعضها، ولكن التعرف على أضوائها وألوانها، يسمح بالكشف عن أصلها العائلي المشترك الذي تستمد منه جميعا وجودها"[18]. وبالرغم من مطابقة هذا التعريف إلى حدٍ بعيد للتعريفات التي وضَعها روّاد الموضوعاتيّة، إلا أننا نميل إلى الرأي الذي يذهب إلى فشل التعريفات التي تطرحها المعاجم الغربيّة في وضع محددات واضحة ودقيقة لمفهوم الموضوعاتيّة حيث أضاف قاموس (روبير) دراسة الموضوعات ضمن مهام الموضوعاتية، إضافة إلى تضييقه للمفهوم بربطه بالجانب السيكولوجي الذي يعدُّ جانبًا من جوانب الموضوعاتية، فيما جعل معجم (لاروس الصغير) الموضوعاتية صفة للموضوع، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على غياب التمييز بين مفهومي الموضوع والموضوعاتية[19].

من جهة أخرى كان للنقاد والدارسين إسهاماتهم الخاصة في تقديم مُحدِّدات خاصة للموضوعاتيّة؛ ومن تلك الإسهامات ما ذهب إليه (دانييل برجيز Daniel Bergez) الذي عرَّفَ الموضوعاتيّة بأنها: "جملة الصلات التي يرسمها العمل الأدبي في علاقتها بالوعي الذي يعبر عن ذاته من خلالها"[20]. ويعدُّ (نورمان فريدمان Norman Friedman) اصطلاح الموضوعاتي من الاصطلاحات الأساسية والمتغيرة في النقد المعاصر، وكان يعني في النقد القديم المعنى العام أو الشكل"[21]. وهو بذلك يشير إلى حركة مفهوم المصطلح اتساعًا وتطورًا فضلًا عن ذهابه إلى أن تعدد المفاهيم التي لحقت الموضوعاتيّة؛ عائدٌ إلى اختلاف مرجعيّات النقاد والدارسين، واختلاف تصوراتِهم، وتنوّع تطبيقاتِهم لهذا المنهج.

*** مصطلح (الموضوع) في المعاجم اللغوية والأدبية العربية:**

تأخر ظهور المنهج الموضوعاتيّ في دائرة النقد العربي إلى الثمانينيات الميلاديّة تقريبًا فتفاعلت معه ترجمة، ونقلًا، وتأصيلًا، حتى بلغتْ المقابلات العربيّة لمصطلحيّ (الموضوع/ الموضوعاتيّة) نحو عشرة مصطلحات، لكلِ واحدٍ منهما، ما أدى إلى بروز إشكاليّة تنوع دلالات المصطلحين، وتوجيه العناية إلى ضبط مفاهيمهما، بما يفوق الحرص على تقديم تطبيقات عربيّة للقراءة الموضوعاتيّة. فقد قدّمت نحو سبع معاجم لغويّة وأدبيّة ولسانيّة تعريفات مُختلِفة لمصطلحيّ (الموضوع/ الموضوعاتيّة)، وانصبّت جهود النقّاد على دراسة دِقّة المقابلات العربيّة والتمييز بينها، من ذلك: أن ترجمة مصطلح (Le Thématique) بالموضوعيّة، تثير اللبس لارتباطه بثنائيّة (الموضوعيّ والذاتيّ)، وترجمته بالجذريّة تحد سياقاته الاستعماليّة، إذ تُركّز على البعد السيكولوجي للنقد الموضوعاتيّ، في حين أن ترجمته بالنقد بالمداريّ تعيبها محدوديّة تداولها، أما ترجمته إلى الغرضيّة أو الأغراضيّة، فتُناهِض القراءةَ الموضوعاتيّة التي تنفي القصديّة والمباشرة، وهي الدلالات التي يُفيدها مصطلح الغرض لغويًا[22]. وتميل هذه الدراسة إلى اعتماد ترجمة Le Thématique بالموضوعاتيّة، كما رجّح الناقد يوسف وغليسي في كتابه (مناهج النقد الأدبي)، لأسباب ذكر منها: اتساع النطاق الاستعماليّ، والإسهام في توحيد المصطلح، وللقدرة اللغويّة لمصطلح (الموضوع) في المعاجم اللغويّة العربيّة على الإحاطة بالمفهوم الغربيّ لمصطلح (Le Théme)[23]، كما أنها تدعم توجّه القراءات الموضوعاتيّة فيما يتعلق بالإضمار؛ ذلك أن (الموضوع) في (المعجم الوسيط): "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"[24]. وفي (لسان العرب) لابن منظور تحت مادة (و ض ع) معناه: "الوضع ضد الرفع، وضعه يضعه وضعاً وموضوعاً، وأنشد ثعلبٌ بيتين فيهما: موضوع جودك ومرفوعه عنى بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به، والمرفوع ما أظهره وتكلم به"[25]. وفي ذلك إشارة واضحة إلى مفهوم الإضمار، فالموضوع موجود في النص لكن لا يصرّح به. وإذا انتقلنا من المعجمات اللغوية في تعريف المصطلح إلى المعجمات الأدبية وجدنا (المعجم الأدبي) يعرّف (الموضوع) بأنه: "مضمون ما يجول في خاطرنا وليس هو ذاتنا. وفي هذا المعنى يدل الموضوع على إحساس، أو عاطفة، أو صورة، وليس بالضرورة على شيء موجود في العالم. ما له وجود

في ذاته، مستقل عن الفكرة التي تكون في ذهننا عنه. موضوع الكلام: المادة التي يجري عليها البحث شفويًا أو خطيًا، ومن ذلك قولنا: موضوع الرواية، موضوع النقاش، موضوع المحاضرة الخ"[26]. ويشير هذا التعريف إلى تمثلات أو تجليات الموضوع، فقد يكون مشهدًا، صورة عاطفة، وغير ذلك. ويقدِّم (قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر) الموضوع على أنه: "ما يدور حوله الأثر الأدبي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو هي الفكرة الجوهرية التي أراد المبدع التعبير عنها. وهو عنصر أساسي في الدراسة السوسيولوجية أو النفسية، ولا يعتد به في الدراسة البنيوية الشكلية"[27]. كما يعرّفه (معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب) بأنه: "ما يدور حوله الأثر الأدبي سواء أدل عليه صراحة أم ضمنًا. ويستعمل هذا المصطلح الآن لدى علماء اللغة بمعنى أضيق هو: الفكرة الجوهرية للمؤلف أو القضية العامة التي يدافع عنها الأثر الأدبي[28].

ولاختلاف المقابلات العربيّة وجدنا تعريفًا للموضوع في (مصطلحات نقد الرواية) لكن تحت مصطلح (الموضوعة)، حيث عُرِّفت بأنها: "فكرة تسود النص أو جزءًا منه (موضوعة الموت، مثلاً)، وتقابل حدسيًا ما يمكن أن نسميه موضوع النص. وإذا كان النص المتماسك يؤلف وحدة دلالية مستقلة، أو تصورًا قابلاً للإيجاز، فإن جمل النص تأتلف في مجموعات تشكل كل منها وحدة دلالية مستقلة، من هنا القول إن النص مكوّن من عدة مستويات وكل مستوى يتكون من مجموعة موضوعات تصب في وحدة أكبر منها، وصولًا إلى المستوى الأكبر وهو موضوعة النص. وهناك من يطلق مصطلح البنية الأصلية macrostructure على المستوى الأكبر من النص، ويطلق مصطلح البنية الفرعية microstructure على البنية الصغرى المكونة من مجموعة متماسكة من الجمل"[29]. وهو تعريف يكاد يحيط بمصطلح (الموضوع) إذ عددناها مقابلًا للموضوعة، كما يضع المعجم مجموعة من المحددات لمصطلح الموضوعة حيث يميزه عن الحافز، من حيث التجريد والحسيّة، كما يميزه عن الحافز المشترك، حيث يذهب إلى أن اتفاق عملين إبداعيين في حوافز مشتركة معينة؛ لا يعني اشتراكهما في موضوعة واحدة، كما يميز مصطلح الموضوعة عن الحدث باعتبار الأول فكرة، والثاني فعل يدخل في الحبكة، وآخر المحددات هو تمييز مصطلح الموضوعة عن المبدأ أو الأيديولوجيا، فالأول يشكّل

مضمون النص، بينما تبقى الأيديولوجيا خارجه. وتحت نفس المصطلح يعرّفه (جعيرن ميهوب): "الموضوعة تعني شيئًا في سياق وتعني شيئًا في سياق آخر، بالنقل مما وضعت له في الأصل أي (الغرض) إلى ما لم توضع له في الأصل أي الموضوعة، إذ تقترب الدلالة والوظيفة عند الموضوعاتيين من وظيفة العلامة ودلالاتها عند السيميائيين"[30]. وربما يحوي هذا التعريف خلطًا بين الاضمار والمجاز، فليس كل موضوعة تدل على غير ما وضعت له، لكن يستدل عليها بعدة طرق، كما أن لها تجليات متنوعة داخل العمل الأدبي الواحد، أو في مجموعة أعمال.

ولاختلاف المقابلات العربيّة –أيضًا– نجد (المعجم الأدبي) يقدِّم تعريفًا للموضوع، لكن تحت مصطلح (الجذر) على النحو الآتي: "منطلق نفسي يتحرك الفنان بحسبه، أو يدور حوله فيستثير عواطفه ويبتعث فيه الأفكار والأخيلة. فما يكاد يبتعد عنه حتى يرتد إليه بقوة خفية قاهرة. ويبرز أثره في كل صنيع له، وفي كل موقف من مواقفه، ضمن مرحلة معينة من إنتاجه من ذلك، على سبيل المثال، محور الأمومة الذي قد يطغى على أديب أو رسام لبواعث لا شعورية، فإذا به يعنى بالأم في جميع مظاهرها، في الأم الواقعية، وفي الطبيعة، والأرض، والبحار وما تمثله من رموز الأمومة، وفي الرأفة والحنان، والمحبة، في مسح الآلام والأحزان، وكل ما يمكن أن يشير إلى الأم من قريب أو بعيد، وهو لا يستقر نهائيًا على هذا النهج، بل قد تتطور مواقفه فتتبدل محاوره، وينتقل بالتالي إلى موضوعات أخرى مختلفة في مضمونها الظاهر والرمزي عما ألفه في المرحلة السابقة. ولهذا الانتقال من حالة إلى ثانية، أو الدوران حول محاور عدة تأويلات يعمد إليها النقاد والدارسون المعتمدون على علم النفس الأدبي في تفهم الآثار الفنية عامة والأدبية خاصة"[31]. ويميل هذا التعريف، في إشارته إلى الدوافع النفسيّة، وإلى الإفادة من علم النفس الأدبي، إلى جانب من جوانب القراءة الموضوعاتيّة وهو الجانب السيكولوجيّ. ويعرّفه (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) مع الإبقاء على لفظه الأجنبي معربًا (التيم): "اصطلاح انطباعي، إلى حد بعيد، يستعمله (ج. ب. ويبر) في معنى خاص، ويطلق (التيم) على صورة ملحة ومتفردة، نجدها في عمل كل كاتب، معدلة بحسب منطق التماثل. ويفسَّر (التيم) كحدث لصدمة، تعود لأوائل شباب الكاتب". كما يقدم المعجم تعريفًا لمصطلح التيمية: "نمط متأصل في النقد، ويعمل على تقسيم العمل، إلى وحدات كبرى متماثلة. اعتبرت

متأثرة بفكرة الصورة، عند (باشلار)"[32]. كما يعرّف (عبد الكريم حسن) الموضوع بأنه: "المبدأ الذي تلتقي عنده كافة المفاهيم التي تؤسس المنهج الموضوعي. ولعله من قبيل التزيد أن نشير إلى أن الموضوعية هنا ليست إلا نسبة للموضوع (théme) مما يضع الموضوع في المقام الأول بين بقية المفاهيم"[33]. فيما يذهب (محمد عبدلي) إلى أن: "الموضوع هو كل أمر يملك قدرة على جعل الفكر يتخذ مادة يشتغل حولها بغرض التحليل، للكشف عن تفاصيله وعن العلاقات القائمة بين تلك التفاصيل فيما بينها، وعلاقة كل ذلك بالمجال الذي ينتمي إليه سواء كان فلسفيًا، سياسيًا، علميًا، أو أدبيًا (...) ومن هنا نخلص إلى أن الموضوع هو المادة التي يشتغل عليها الفكر عمومًا، سواء عن طريق الكلام أم الكتابة"[34].

يمكن القول إن ما قدّمته المعاجم اللغوية من مفاهيم لمصطلح (موضوع) كانت قابلة لاتساع المصطلح وتطوّره، بإشارتها إلى احتمالية كونه ظاهرًا أو مضمرًا، وهي الإشارة التي دعمت النقّاد الذي يتخيرون مصطلح (موضوع) مقابلًا لمصطلح (théme)، ويشتقّون منه اسم المنهج الموضوعاتيّ، الذي يقوم على تتبع الموضوع في النص باعتباره مضمرًا لا ظاهرًا أما ما قدمته المعاجم النقديّة والأدبية لمصطلح (موضوع) فلا تعارض بيّن بينها، وهي في معالجتها المصطلح ضمن نطاق النقد الموضوعاتي، فإنها تمنحه فرادة المعنى، وخاصيّة الإضمار ولازمة التواتر[35].

*** جهود النقاد والباحثين العرب في التعريف بمصطلح (الموضوعاتية):**

لم يرد مصطلح (الموضوعاتيّة/ Le Thématique)، للإشارة إلى المنهج الموضوعاتي –على حد علمنا– سوى في معجم عربي وحيد هو (معجم المصطلحات الأدبية والنقدية)، الذي جاء فيه: "النقد الموضوعي (الموضوعاتي) هو النقد الذي يتناول العمل الأدبي بوصفه شيئًا منعزلًا عن أي تعلقات خارجية، سواء بالمبدع أو بالمتلقي أو بالمحيط الذي نتج فيه العمل وبدلًا من هذا فإنه يدرس المنتج الأدبي بوصفه إبداعًا قائمًا بنفسه مكتفيًا بذاته، أو عالما خاصًا ينبغي أن يحلل ويقوّم في عزلة تامة، خاضعًا لمعايير داخلية مثل: تركيبه، وتماسكه وتوازنه، وتكامله، وكذلك العلاقات والروابط الداخلية بين مكوناته الأساسية"[36]. ويتوسع القاموس في عرضه للمصطلح، فيتعرّض للآليات والإجراءات المنهجية المتبعة في المقاربة

الموضوعاتية، والنتائج التي يرمي الوصول إليها "فيهتم النقد الموضوعاتي باستقراء التيمات الأساسية الواعية واللاواعية في النصوص الإبداعية، وتحديد محاورها الدلالية المتكررة والمتواترة واستخلاص بنياتها العنوانية تفكيكًا، وتشريحًا، وتحليلًا، من خلال عمليات التجميع والإحصاء المعجمي والتركيبي والدلالي لكل القيم والسمات المعنوية المهيمنة التي تتحكم في البنى المضمونية والموضوعية للنصوص الأدبية، بغية الكشف عن بؤرة النص، والتنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكاره الرئيسية، ورصد نسبة تواترها النصي، وصولا إلى الفكرة الكلية المهيمنة على النص الأدبي"[37]. يأتي هذا النصُّ بوصفه التعريف الوحيد للموضوعاتيّة في معاجمنا العربيّة، ويعلّل بعض النقاد والدارسين النقص في عرض هذا المصطلح، بحداثة المنهج الموضوعاتيّ في الساحة العربيّة، وحداثة دلالاته المكتسبة[38].

وقد قدَّم عدد من النقاد والدارسين مفاهيم عدة للموضوعاتية، فينطلق (عبد الكريم حسن) في تعريفه من تحديد المفهوم المحوري الذي يرتكز عليه المنهج الموضوعاتي فيقول: "كل منهجٍ يقوم على مفهومٍ مركزيٍ تتمحور حوله بقية المفاهيم. والمفهوم المركزي الذي تلتفّ حوله المفاهيم الأخرى في المنهج الموضوعي هو (الموضوع). فعلى محيط الموضوع تتجمع وتتفاعل مفاهيم عديدة كمفهوم البنية والشكل والعلاقة...، مما يقدم الموضوعية كمنهجٍ متكاملٍ في التحليل والتفكير"[39]. وهو في تعريفه يشير إلى المفاهيم المرتبطة بالمنهج وإجراءاته. ويضع لها (سعيد علوش) تعريفًا يتفق مع ما ذهب إليه (ريشار) في تعريف الموضوعاتيّة بل ويقتبس منه الجزء الأخير من تعريفه: "مفهوم الموضوعاتي في الحقلين العربي والغربي هو التردد المستمر لفكرة ما، أو صورة ما، فيما يشبه لازمة أساسية وجوهرية، تتخذ شكل مبدأ تنظيمي ومحسوس أو ديناميكية داخلية، أو شيء ثابت، يسمح للعالم المصغر بالتشكل والامتداد"[40].كما عرَّفها (محمد عبدلي) في طريقة تشكلها وظهورها في النص، ليقدمها بوصفها: "سلسلة التعديلات والتحولات التي تصنعها نواة النص مشكِّلة تفاصيل المشاهد الفنية للنص، والتي يكوّن مجموعها في الأخير البناء الكلي لعالم النص الأدبي؛ وهذه النواة يمكن أن تكون مشهدًا حدثًا، كلمة، صوتاً، أو غير ذلك"[41]. وعرفها (جوزف لبس) تعريفًا مقتضبًا يشي بالحاجة إلى العودة إلى مفهوم (الموضوع)، فجاء فيه: "إن النقد أو التحليل الموضوعاتي هو المسار (أو

القراءة) الذي يأخذه البحث لاكتشاف الموضوعاتية (أو الموضوع الأصلي)، وكذلك الكشف عن التجليات التي تتخذها هذه الموضوعاتية في جميع تفرعاتها في العمل الأدبي"[42] أما (يوسف وغليسي) فعرّفها بالإشارة إلى تنوع أصولها الفلسفية، وتقاطعها مع عدد من المناهج النقدية، فذهب إلى أنها: "منهج بلا هوية، أو ميدان نقدي هلامي تتداخل فيه مختلف الرؤى الفلسفية والمناهج النقدية (الظواهرية، الوجودية، التأويلية، البنيوية، النفسانية..)، التي تتضافر (هكذا) فيما بينها ابتغاء التقاط الموضوعات المهيمنة على النصوص، في التحامها بالتركيب اللغوي الحامل لها"[43]. أما (جميل حمداوي) فعرفها بالإشارة إلى آليتها: "المقاربة الموضوعاتية هي التي تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة، مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص، وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريا، سواء كان ذلك في الشعر أم في النثر"[44].

نخلص من هذا التتبع إلى أن هذه التعريفات قد اكتسبت تنوعها من اختلاف زوايا الرؤية التي اختارها النقاد والدارسون في النظر إلى الموضوعاتيّة، فتناولت تجليات الموضوع؛ مضمر، متواتر، متنوع، كما تناولت مضمونه؛ فكرة، أو شعور، أو ذكريات من الطفولة وتناولت تنظيمه داخل النص؛ ضمن شبكات، جذور، عوائل لغوية، وتناولته منفردًا في عمل ومكررًا في مجموعة أعمال. كما تناولت محدداته، فعرجت على أهدافه، غاياته، أصوله الفلسفيّة، وإجراءاته، وتقاطعه مع غيره من المناهج النقديّة. ولم يرصد هذا التتبع تعارضًا يشي بإشكاليات في التلقي، بقدر ما رأى فيها محاولات لبلورة مفاهيم يؤخذ على بعضها الاتساع والعمومية، وعلى بعضها التضييق والتحديد المخِل، ويبقى للناقد أن يتخيّر منها ما يتلاءم ومنهجه في التطبيق.

الهوامش والإحالات

(1)– ينظر: محمد عبدلي، النقد الموضوعاتي، مجلة تمثلات، العدد 1، (2015م): 18. نقلًا عن:
Voir, Le Robert: dictionnaire historique de la langue française, Paris 1992, P.2114

(2)– المرجع السابق.

(3)– يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، (الجزائر، جسور للنشر، 2007م)، 149. نقلا عن:
Dominique Maingueneau: les termes clés de l'analyse du discours, seuil, 1996, p.84

(4)– مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة: رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشنوفي ط1، (عالم المعرفة، 1978م)، 112، 113.

(5)– ج. ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: لطفي الزليطني، ومنير التريكي، (الرياض: جامعة الملك سعود، 1997م)، 85.

(6)– ينظر: عبدلي، مرجع سابق، 23.

(7)– ميشيل كولو، النقد الموضوعاتي، ترجمة: غسان السيد، مجلة الآداب الأجنبية، ع 93، (1997م)، 36.

(8)– من محاضرة ألقيت في البندقية عام 1974م، ينظر: مجموعة من الكتاب، مرجع سابق، 113.

(9)– عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، نظرية وتطبيق، ط1، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990م). 39.

(10)– من محاضرة ألقاها (ريشار) بتاريخ 1976/6/25 في جامعة (Vincenne)، نقله: حسن، مرجع سابق، 39.

(11)– ينظر: حسن، مرجع سابق، 39.

(12)– وغليسي، مرجع سابق، 151.

(13)– ينظر: كولو، مرجع سابق، 37.

(14)– ينظر: سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، ط1، (الرباط: شركة بابل للنشر والطباعة، 1989م)، 6.

(15)– عبدلي، مرجع سابق، 25.

(16)– المرجع السابق.

(17)– كريمة زيتوني، المنهج الموضوعاتي في مقاربة الشعر العربي، قراءة القراءة في نماذج مختارة من الشعر العربي القديم والحديث والمعاصر، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر (د.ت)، 16.
نقلاً عن: Oxford Dictionary edited by Sally Wehmeier.six, six Th edition 2000

(18)– عبدلي، مرجع سابق، 27.

(19)– ينظر: المرجع السابق، 26.

(20)– مجموعة من الكتاب، مرجع سابق، 113.

(21)– علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، 10.

(22)– ينظر: وغليسي، مرجع سابق، 152–159.

(23)– ينظر: المرجع السابق.

(24)– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004م)، 1040.

(25)– ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، ب. ت)، 4857.

(26)– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1984م)، 272.

(27)– سمير حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 2001م) 138.

(28)– مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، (بيروت: مكتبة لبنان، 1984م)، 396.

(29)– لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2002). 161 162.

(30)– جعيرن ميهوب، المنهج الموضوعاتي بين النظرية والتطبيق، مجلة الباحث، مج 6، ع1، (2014)، 18.

(31)– عبد النور، مرجع سابق، 243.

(32)– سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، ط1، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1985م) 56.

(33)– حسن، مرجع سابق، 37.

(34)– عبدلي، مرجع سابق، 20.

(35)– لا يقصد بالتواتر ذلك التكرار البسيط، بل يترافق تواتر الموضوع بتبدلات، فيتبدل معنى الموضوع في ذاته وفي تشكله وعلاقاته داخل النص، ينظر: كولو، مرجع سابق، 37.

(36)– أسامة البحيري، المصطلحات الأدبية والنقدية، ط1، (طنطا: دار النابغة للنشر، 2021م)، 181.

(37)– المرجع السابق.

(38)– ينظر: عبدلي، مرجع سابق، 25.

(39)– حسن، مرجع سابق، 12.

(40)– علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، 7.

(41)– عبدلي، مرجع سابق، 27.

(42)– جوزف لبس، المنهج الموضوعاتي في البحث عن النغم التائه، مجلة المشرق، السنة 89، الجزء 2 (2015م) https://al-machriq.com/project/2015v2/ تاريخ الدخول: 1445/12/13هـ

(43)– وغليسي، مرجع سابق، 147.

(44)– جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، ط1، (مكتبة المثقف، 2015)، 11.

قائمة المراجع

- ابن منظور (ب. ت) لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي القاهرة: دار المعارف.
- البحيري، أسامة (2021م) المصطلحات الأدبية والنقدية، ط1، طنطا: دار النابغة للنشر والتوزيع.
- براون، ج. ب.، يول، ج. (1997م) تحليل الخطاب، ترجمة: لطفي الزليطني، ومنير التريكي الرياض: جامعة الملك سعود.
- برنس، جيرالد (2003م) قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ط1، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.
- حجازي، سمير (2001م) قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية.
- حسن، عبد الكريم (1990م) المنهج الموضوعي، نظرية وتطبيق، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- حمداوي، جميل (2015م) المقاربة النقدية الموضوعاتية، ط1، مكتبة المثقف.
- زيتوني، كريمة (د. ت) المنهج الموضوعاتي في مقاربة الشعر العربي، قراءة القراءة في نماذج مختارة من الشعر العربي القديم والحديث والمعاصر، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر.
- زيتوني، لطيف (2002م) معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- عبد الرحيم، قانة ومختار، سويلم (2021م) المنهج الموضوعاتي في النقد الجزائري المعاصر، الناقد يوسف وغليسي والباحث محمد السعيد عبدلي أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13 العدد 1: 1552–1573.
- عبدلي، محمد (2015م) النقد الموضوعاتي، مجلة تمثلات، العدد 1.
- علوش، سعيد (1985م) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، ط1 بيروت: دار الكتاب اللبناني.

- علوش، سعيد (1989م) النقد الموضوعاتي، ط1، الرباط: شركة بابل للنشر والطباعة.
- كولو، ميشيل (1997م) النقد الموضوعاتي، ترجمة: غسان السيد، مجلة الآداب الأجنبية، ع 93.
- مجمع اللغة العربية (2004م) المعجم الوسيط، ط4، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية)، 1040.
- مجموعة من الكتاب (1978م) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة: رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشنوفي، ط1، عالم المعرفة.
- ميهوب، جعيرن (2014م) المنهج الموضوعاتي بين النظرية والتطبيق، مجلة الباحث، المجلد 6، ع1.
- وغليسي، يوسف (2007م) مناهج النقد الأدبي، ط1، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع.
- وهبة، مجدي والمهندس، كامل (1984م)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2 بيروت: مكتبة لبنان.